المكوِّنات الأدبية للتفسير البياني للقرآن الكريم

عندعائشة عبد الرحمن

د.عباس أمير معارز . **د. زينب جاسم محمد**
كلية التربية /جامعة القادسية . **كلية الآداب /جامعة القادسية**

في المكوِّنات الادبية للتفسير:

المكوِّن الادبي ،على وفق د.سعيدعلوش؛ ((جزء يساهم في الكل،من هنا كان اطلاق (مكونات الخطاب)و(مكونات السرد)و(مكونات الانواع)...)) [١] .والتفسير البياني على وفق ما تذهب اليه عائشة عبد الرحمن ،منهج في التفسير تعلّمته من استاذها أمين الخولي [٢] . ومهمة المنهج ، ((أن يبيّن لنا كيف نستخدم أفعال العقل لأكتشاف الحقيقة ،ولكي لا نقع في الخطأعند استعمالنا لهذه الافعال)) [٣]. فالمنهج ، ((سلسلة من العمليات المبرمجة ، والتي تهدف الى الحصول على نتيجة ، مطابقة لمقتضيات النظرية)) [٤]. فهو ، بناء على ما سبق نوع من التنظيم العضوي الذي يسهم فيه كل جزء من أجزائه في تشكيل معالمه وملامحه،بما يسمح لنا نحن مطبّقي المنهج أومكتشفيه في تلمّس الكيفية التي مارس فيها عقل صاحب المنهج اكتشاف الحقيقة . أي الكيفية التي استطاع فيها صاحب المنهج ،مطابقة النص أو(النظرية) على وفق سعيد علوش . والنص هنا ،أو(النظرية) هو المتن العلمي الذي يطبّق عليه المنهج، ولهذا المتن عناصر ومكوّنات كما للمنهج عناصر ومكوّنات،مع فارق ان الشرط أو المعيار في عناصر المنهجهو أن تكون منسجمة مع عناصر النصّ ومطابقته لمقتضياته ومقاصده فاذا عرفنا ان أكثر ما يهتم به أصحاب هذا المنهج هو، المسائل الآتية [٥] :

1-الجوانب النحوية و الصرفية لألفاظ القرآن وعباراته.
2-فصاحة القرآن،ولطائفه البلاغية.
3-الاعجاز الادبي والبلاغي للقرآن.
4-العناية باللغاتالغريبة والمشكلة في القرآن.
5-العناية بجذور الكلمات وتتبّع أصولها .
6-الأهتمام بالقراءات ،وتأثيرها في المعنى .
7-الافادة من أشعار العرب القدامى ،في الكشف عن المعنى .
8-العناية بمباحث الوجوه والنظائر ،والحقيقة والمجاز.

اذا عرفنا ما سبق خلصنا الى أن مكوّنات التفسير البياني هي مكوّنات أدبية ،أصلا،وأساسا...وتوضّح عائشة عبد الرحمن كيفية الافادة من تلك العناصر ،أو كيفية اجرائها منهجيا ،من خلال عرض ضوابط المنهج البياني الذي تعلّمته من أمين الخولي ،وهي ؛[٦]

1-جمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس .
2-ترتيب الآيات على حسب نزولها لمعرفة ظروف المكان والزمان .والأستئناس بالمرويّات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية .

3-تلمّس الدلالة اللغوية الأصلية ،ثم لمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ ،والاخذ بسياقها العام في القرآن كلّه.
4-الاحتكام الى سياق النص ،بعيدا من أقوال المفسّرين ،ثم ضبط أقوال المفسرين من خلال عرضهاعلى النص .كذلك ضبط أقوال النحويين والبلاغيين بعرضها على النص نفسه.

والواضح مما سبق أن المكوّنات السابقةجميعا ،مكونات فنية وأدبية تعنى بالتعبير القرآني وخصوصيته وأساليبه ،أي انها على وفق أصحاب المناهج الادبية الفنية المعنية بدراسة الصنعة الفنية في النص مكوّنات مادية وتعبيرية تجعل من النص موضوعا حسيّا يتصف بالتماسك والانسجام [٧]. ولكن فضلا عما سبق ،ثمة المدلول الباطني للنصّ الادبي أو الفني،أي ثمة الموضوع الذي يشكل مع عنصري المادة و التعبير ،قوام النصّالادبي ،ولكن هذا الموضوع لا يحضربذاته ،بل من خلال التعبيرالادبي الذي ينقل الموضوع من طبيعته المحايدة الى طبيعة فاعلة مثيرة للانفعال ومحفزة للادراك العاطفي ، بهجة وأملا،أو حزنا وخوفا،ورغبة ونفورا ...الخ، ولا شك ان هذا البعد من أبعاد الواقع لا ينكشف الا للحاسية الوجدانية لمن يباشر ذلك الموضوع[٨] ، والذي يباشر الموضوع هاهنا ،في قضية التفسير البياني للقرآن الكريم ، عند عائشة عبد الرحمن هو المفسّر،ولكي تتحقق تلك المباشرة بشكل منهجي يحقق انسجاما مع موضوع النصّ، تقرر عائشة عبد الرحمن المكوّن الآخر من مكوّنات التفسير البياني، ألا وهو المكوّن الموضوعي ، فتقول : ((وألاصل في منهج هذا التفسير– كما تلقيته من أستاذي – هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كل ما في القرآن منه ،ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ و الاساليب ،بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك ... وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه ، مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله ،مما لا سبيل معه الى الاهتداء الى الدلالة القرآنية لألفاظه ، أو لمح ظواهره الاسلوبية وخصائصه البيانية)) [٩] .

واذن تشكل معرفة الموضوع شرطا رئيسا من شرائط معرفة الخصائص الأدبية للنصّ،لكن، بلحاظ أن تكون تلك المعرفة بالموضوع معرفة منهجية ، تعمل على جمع كل ما يتعلق بالموضوع الواحد في القرآن كله ، ثم الاهتداء بمادّة ذلك الموضوع ؛(الفاظه،وعباراته ...)،والمقارنة بينها بعد جمعها ،ثم تحديدأوجه بيانها [١٠] ، ومن ثم الأنتقال الى طرائق تشكيل تلك المادة ،أي ما يسميه أصحاب المنهجيات الفنية (التعبير)، وما تسميه عائشة عبد الرحمن (الدلالة القرآنية)،و(الظواهر الاسلوبية) أو (الخصائص البيانية).

وهاهنا ،تبيان لتلك المكوّنات ،لا في النصّ موئل التفسير وهو القرآن الكريم ، بل في قراءة عائشة عبد الرحمن لذلك النصّ بكل ما لتلك القراءة من سمات الانتظام على وفق النصّ ومقتضياته ، وما يكشف عن ذلك الانتظام من استجابة عاطفية وجمالية لموضوعات النصّ ومواده وطرائقه في التعبير أو التصرف الفني بتلك المواد ...

المبحث الاول : المكوِّن الموضوعي :

أولاً - السعادة

ثانياً – الطمأنينة

ثالثاً- الدهشة والتعجب

رابعاً- الفزع والخوف

خامساً- الألم

مقدمة:

البحث في موضوعات التفسير البياني عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن يعني البحث عن مشاعر وأفكار قد راودت المفسرفي تفسير النص القرآني والوقوف على أهم الجوانب الفنية في تفسيرتلك الموضوعات وقد وقفت عائشة عبد الرحمن

على كثير من الموضوعات التي بينت فيها المعاني الذهنية التي انطوى عليها النص القرآني في ضوء الموضوعات التي تشكلت أدبياً وهي ترتبط بشكل مباشر وغير مباشر بالقدرة التعبيرية ((أي ماتوحي به للخيال والانفعال والفكر – هي بلا شك – أوضح ظهورا في التجربة الجمالية منها في الانواع الاخرى للتجربة))[١١] ومن أهم المظاهرالشعورية والعاطفية لتلك الموضوعات :-

أولاً: السعادة :

لقد تجلت مظاهر السعادة في أغلب المواضع التي وقفت عليها الدكتورة عائشة في تفسيرها من خلال إستقراء أحوال أهل الجنة التي تتضح في سماتهم الشخصية وردود أفعالهم تجاه نعيم الجنة ، ففي قوله تعالى :(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾) [القلم:34-35] تقول : ((وفيها يبين القرآن الكريم عاقبة المتقين بعد الذي ساق من عبرة أصحاب الجنة ،ونذيرللطغاة الظالمين فيعمد الى الاسلوب الاستفهامي الذي يخرج من أصل معناه اللغوي في طلب الجواب ،الى الرفض والانكار :أن يجعل الله المسلمين كالمجرمين هو انكار يحمل من التقرير لمثوبة المتقين المسلمين ومآب العصاة المجرمين،بقدرما يحمل من الردع لذوي العقول والبصائر))[١٢] فقد وقفت على الاسلوب البلاغي الذي ورد في النص الكريم لبيان حالة السعادة والنعيم التي يتمتع بها المتقون ومآب العصاة المجرمين وعقد هذه الموازنة بين ما يتمتع به أصحاب الجنة وما يساق اليه أصحاب السعير من أجل رسم صورة خيالية في ذهن المتلقي عن النعيم والسعادة الازلية والصورة الجمالية للجنة ((ومعلوم أن أهل الجنة سعادتهم روحانية ناشئة عن الحب والجمال الالهي ومستغرقة فيه))[١٣] وقد تجلت مظاهر السعادة في سمات أهل الجنة في قوله تعالى : (أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾) [البلد:18] فهي ترى أن العربية قد ((ألفت استعمال اليمين في البركة واليمن والتفاؤل والقوة))[١٤]،وقد استدلت على ذلك بما ورد في النص الكريم في اختيار الجانب الايمن للموضع الذي تجلى فيه الله سبحانه وتعالى لموسى (عليه السلام) * فاليمن والبركة من أهم عناصر السعادة في الدنيا والآخرة ، وقد وردت في الكلام العربي قديما فالعربي يتفاءل بالطير التي يكون طيرانها من اليمين الى الشمال وليس العكس .

ولاتقتصر مظاهر السعادة على الآخرة فحسب فقد ورد في النص الكريم مايشير الى السعادة في الدنيا ،ومن أهم تجلياتها في انشراح النفس وسعادتها ما ورد في قوله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾) [الشرح:1] ، تقول : ((وكونه طمأنينة نفس ،وهدى ايمان ،وارتياحا الى اليقين))[١٥] فطمأنينة خلال ماتقررمن شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وهذا التكرار جاء مؤكدا في قوله تعالى :(فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾) [الشرح : 5-6] وهذا التأكيد جاء لتقوية الايناس وقد أرتبط بسبب نزول الآية بالمعنى العام لها ، فهي ترى ((أن سورة الشرح قد نزلت مباشرة بعدالضحى التي جاءت على فترة من الوحي ، فالتكرارفيها يرسخ في نفس المصطفى الطمأنينة الى رعاية ربه عز وجل ويؤنسه – صلى الله عليه وآله وسلم – الى ما يستقبل من أمره))[١٦]،فصورة السعادة تعكس جمالا موضوعيا يتضح من خلال وجود الفاء العاطفة التي أفادت مع الترتيب دلالة السببية لشرح الصدر ووضع الوزر ،لتقوية وتأكيد السعادة و الأنشراح والطمأنينة .

ثانيا: الطمأنينة:

الطمأنينة لا تكون الا مع الشعور بالرضى، وهذا يتحقق من خلال قيام الانسان بواجباته وأعماله في الدنيا بما ينسجم مع الشرائع السماوية والقوانين الاخلاقية التي تهدف الى سعادة الفرد والمجتمع التي تهدف الى راحة النفس وايناسها وانشراحها ، وقد تجلت مظاهر الطمأنينة، في قوله تعالى : (يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾) [الفجر:27] اذ جعلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن الفعل (إطمأن) مقترنا بالثقة والايمان واليقين ، فهي ترى ((ان الفعل

(إطمأن) في العربية من أفعال القلوب ، بمعنى انه لا يكون الا من القلب وفيه ، حين تنتفي هواجس الحيرة والشك والقلق والخوف .... وقد اقترنت في آية الفجر صفة النفس)) [١٧] فرجوع النفس مطمأنة يدل على الراحة السرمدية التي يتحلى بها المؤمن لما قدمه من خير للانسانية وقد استندت في تحليلها للنص على ما هو مألوف في كلام العرب في المعنى الذي تخرج اليه أفعال القلوب ،كالخشوع ، والثقة ، والايمان ، واليقين وكلها تجلب الراحة النفسية للانسان وقد تتجلى الراحة بالرضا أيّ قناعة الانسان بما يحصل عليه أو مايصل اليه ، ففي قوله تعالى :-(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝) [الضحى:5] تقول : ((

لا وجه لتحديد المقصود بالعطاء في الآية ،بل نؤثر اطلاقه، مسايرة للبيان القرآني الذي لم يشأ أن يحدده .فحسب الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – الاعطاء الذي يرضيه ، وليس وراء الرضى مطمع ولا بعده غاية))[١٨] فقد بلغ الرضى عند الرسول الكريم درجة ليس بعدها غاية يسعى اليها وهي مظهر من مظاهر الراحة والسعادة التي جعلها الله سبحانه وتعالى ايناسا لرسوله المصطفى محمد- صلى الله عليه وآله وسلم – وبشارة وقرة عين فالاطمئنان النفسي الذي تسبغه هذه البشائر على الرسول الكريم بصورة خاصة وعلى المؤمنين بصورة عامة تجعله في قمة السعادة النفسية والراحة لأن النفس تؤثر في المزاج ؛ [١٩] فاذا اعتدل المزاج صار بعيدا عن الحزن والخوف منعما بالراحة والامان.

ثالثاً: الدهشة والتعجب :

مظهر من مظاهر التجربة الانسانية في ادراك عناصر الجمال في الحياة والموجودات وكل ما يحيط بالانسان ومايمكن أن يؤول اليه من مصير ، وتنقسم هذه التجربة الى :

أ- الدهشة والتعجب من تجليات الخالق في الكون ونعمه التي أسبغها على عباده وقد أشارت الدكتورة الى ذلك في ضوء ما ورد في سورة العلق : (ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝)[العلق :4-5] بقولها : ((ان للبيان القرآني

دلالته في لفت النبي الاميّ والعرب الاميين الى جلال القلم ، آية من آيات الخالق الذي خلق الانسان من علق وعلمه ما لم يكن يعلم .... وهذه من الخصائص الانسانية التي يضيف اليها الوحي من بعد ذلك ما يجلوها ويزيدها بيانا ، اذ يجعل مناط تكريم آدم ، الانسان الاول ، وحقه في الارض ....))[٢٠] ففيه اشارة واضحة الى الدهشة والتعجب من العلم الذي القي على النبي الاميّ محمد - صلى الله عليه وآله وسلم – والعرب الاميين وهذا تكريم للانسان الذي خصه سبحانه وتعالى بالعلم تمييزا له عن باقي المخلوقات وهنا تقف الدكتورة باسلوبها الفلسفي الرائع بالاشارة الى تكريم الانسان بالعلم والمعرفة، فهي ترى أنه حق من حقوقه لأن الله تعالى ميز الانسان بالعقل لذا فهو قادر على اكتساب العلم وتلقي المعرفة ، وجعلت ذلك من خصائص البيان القرآني في توضيح المعنى وبيان دلالته .

ونلمح مظاهر التعجب في قوله تعالى :(وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝) [الليل :1-2] اذ تتجلى قدرة الخالق في

تعاقب الليل والنهار وهو من قبيل الآيات التي تثير العجب لذي العقول والالباب المتأملة في حكمة الخالق من كلّ ما خلق ، وقد وقفت الدكتورة على هذه الآية بقولها : ((المصلحة من تعاقب الليل والنهار ،هو من قبيل الحكمة التي تتحقق في كلّ ما خلقه الله، والقرآن حين يقصد الى أن يلفت الى آيتي الليل والنهار ، فانه يجلو وجه هذه الحكمة .... ونلمح السر البياني فيما تلفت اليه الواو من تقابل واضح محسوس ومدرك بين غشية الليل بظلماته ، وتجلي النهار بضيائه))[٢١] فهي ترى ان التقابل بين صورة الليل والنهار لبيان حكمة الخالق في الكون بحرف (الواو) قد أفاد عطف جملة على أخرى لرسم صورة حسية مدركة في ذهن المتلقي بين غشاوة الليل وظلمته وتجلي النهار وضيائه بشكل بلاغي رائع من خلال المقابلة بين الصورتين فكلّ واحدة منهما مدركة واضحة للعيان تتضح من خلالها المصلحة من تعاقب الليل والنهار .

ب – دهشة وتعجب مما يلاقيه الانسان في القيامة أو ما يؤول اليه مصيره في الحشر وحساب أهل النار، ففي قوله تعالى :(وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝) [الزلزلة:3] تقول الدكتورة: ((الانسان هنا هو الانسان على الاطلاق تردعه الزلزلة العنيفة وما

أعقبتها من اخراج الارض أثقالها ، فيسأل في دهشة وتعجب ما لها ! ... فلأن تكون رجة الزلزلة وهول الموقف مما يروع الانسان على الاطلاق كافرا او مؤمنا أقوى من أن يقصر الدهش والعجب على الكافر وحده)) [٢٢] ، فقد بينت ما يصيب الانسان

من دهشة وتعجب من إخراج الارض أثقالها يوم تقوم الساعة ثم عللت إندهاش الانسان من هول الموقف وشدته لأنه يشهد اشياء جديدة لم تكن البشرية عاينتها من قبل وتكتمل ملامح الصورة في قوله تعالى :(يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤) [الزلزلة:4] إذ ترى إن سرالتعبير في (يوم إذ) فيه إستحضار ما في هذا اليوم من دهشة وتعجب من مشاهد يوم القيامة و(تحدث الارض) ف((البيان القرآني المعجز لا ينطق الجمادالاصم فحسب ،بل يجرد منه كذلك شخصية حية ،فاعلة ناطقة ،مريدة مدركة)) (٢٣) فقد أثارت في ذهنية المتلقي صورة الارض وقد إكتسبت ملامح إنسانية فهي تتكلم وتحاسب الانسان على ما فعل في سالف الايام الماضية دون قدرة الآخر- الانسان – على تكذيبها لأنها تتحدث بأمر الله تعالى وطاعته و نحو ذلك في قوله تعالى :(كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝٤٦)[النازعات :46] ((وكون الساعة شيئا يرونه رأي العين ، فيه مع التشخيص والتجسيم والبروز ،وإدماج الحدث (القيامة) بالوقت الذي يحدث فيه (الساعة) ...وربما تنوسيت ظرفية الساعة فاخبر عنها بصيغة المذكر ،على إعتبار أنها الحدث نفسه)) (٢٤) فقد جعلت للساعة ملامح خاصة بها تثير الدهشة والتعجب وشرود الذهن وإنصرافه عن ما مرَّ به من الزمان وكأنما لم يلبث إلا نهاراً أو نصفه وهي بذلك تقف على سر التعبير في مجيء لفظ (الساعة) وتجعل منه المحور في تصوير الحدث لما يحدث فيها من حدث هائل وخطير تنصرف فيه العقول من التفكير بما سبق أو ما سيحدث الى هول الحدث وشدته .

رابعاً - الفزع والخوف

كثير ما ورد في تفسير الدكتورة عائشة عبد الرحمن ذكر الساعة والحساب و مشاهد الايوم الآخر ،وبينت مشاعر الخوف والرهبة تجاه هذه المشاهد ،ففي قوله تعالى :(إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١) [الزلزلة:1] تقول : ((مجيء الفعل ماضيا ،تقريرلأنه حادث فعلا وقد صدّربإذا ،فصرفته الى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره ...وأن مناط القوة في التعبير هو بغتة المفاجأة وتأكيد الحدث وصرف الذهن إليه،ولا شيء من ذلك يتعلق بما شغلوا به من تأويل وتقدير)) (٢٥) فحالة الذهول جاءت من لحظة المباغتة في (إذا) التي لها أثرها في بيان دلالة المعنى في النصّ فهي تدل على المفاجئة في الحديث عن اليوم الآخرالذي يأتي بغتة فتصيب الانسان حالة من الذهول حيال هذه المشاهد .

وللسياق شأن في توجيه المعنى في الآية وتصوير الحدث ، ففي (سورة النازعات) بينت المعنى الوارد في مقدمة السورة وهو الحركة التلقائية للأرض يوم الحشر وكيف أنها تشبه حركة الخيل وهي تنشط وتسبح بقوة عجيبة تشبه سرعة الخيل نحو غاياتها وما تثيره هذه الصورة من حالة الذهول للأنسان من الحال التي ستصير اليه الارض يوم الحساب ، وبذلك يتهيء ذهن المتلقي للصورة الأخرى وهي الخوف والفزع الذي يصيب الانسان ويروّعه في هذا اليوم ،ففي قوله تعالى :(يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠) [النازعات :6-10] تقول ((إن خشوع الابصار هوغض البصرعن ذلة وإنكسار،وشعور بهول الموقف الرهيب الذي يستيقن فيه الكفار من فداحة الذنب وصدق النذير وسوء المصير)) (٢٦) وهنا صورة حسية واضحة لحالة الخوف والفزع التي تصيب الانسان في يوم الحشر فالآية تفصح عن الحال التي سيكون عليها الانسان من ذلة وإنكسار وخوف ورهبة من العذاب الأليم .

وتعمد في مواضع أخرى الى بيان صورة الخوف في نفوس الكفار في اليوم الآخر نحو قوله تعالى :(فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٦) [الفجر :25 - 26] تقول : ((إن إسناد فعل التعذيب والإيثاق الى الله تعالى ،يبلغ به الترويع منتهاه في موقف الحساب والجزاء والعقاب بعد ان قامت القيامة و وقعت الواقعة)) (٢٧) فقد بينت الحال التي يكون عليها الكافر من الخوف والرعب الذي يجعله لا يفكر بشيء سوى الخلاص من العذاب الأليم ،وهذا يثيرصورة خيالية في ذهن المتلقي عن العذاب الذي سيلاقيه هؤلاء الكفار وحالة الرعب في نفوسهم ،وكذلك يمكن أن نلمح ذلك في قوله تعالى (سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨) [العلق : 18] فهي تقول : ((يدعوها الخالق ويكِلُ إليها أمر تعذيب هذا الضال المغتر بجاهه وقوته ،المدِلِّ بناديه – ولم تحدد الآية صنيع الزبانية ، بل تركته على إطلاقه الرهيب يذهب فيه التصور كلّ مذهب)) (٢٨) فقد تركت المجال واسعاً للخيال كيما يبني صورة عن العذاب الذي سيلاقيه المعاندون في كفرهم من أجل إثارة الخوف والرعب في نفوسهم لذلك

فهي تقول « يذهب فيه التصور كلّ مذهب » أي أوسع ما يتخيلهُ الأنسان من الترويع والترهيب وهذا لون من ألوان العذاب الذي من شأنه إثارة الخوف في نفس المتلقي .

وقد تناولت أيضاً تصوير الخوف والرعب الذي ينتاب الانسان عند إدراكه مشاهد القيامة أو الساعة ،ففي قوله تعالى :(۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠) [العاديات :9-10] تقول :« المقام هنا للإنذار بيوم ينكشف فيه ما طُوِى في الصدور ،ويظهر ما تُخفى الضمائر،وقد كان الظن الكاذب به أن يظلَّ خفياً مستوراً » (٢٩) فالإنذار للجميع بما يصيب الأنسان بيوم القيامة ،لأن السياق العام للآية يتحكم بتصوير مشهد الخوف والرعب الذي سيلاقيه الأنسان في هذا اليوم فتنكشف ما تخفي الضمائر وما إنطوت عليه الصدور خوفاً ورهبة من سوء المصير .

خامساً- الألم

ومن الموضوعات التي وقفت عليها الدكتورة هو الألم سواء أكان هذا الألم جسدياً بما يلاقيه الكافر من العذاب جزاء كفره و طغيانه ،أم نفسياً يكابده و يقاسيه في الدنيا والآخرة . فاللون الأول من الألم نجده في قوله تعالى :(فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣) [الفجر :13] تقول : « الأصل في السوط أن يُضرب به ،لكن البيان القرآني عدل عن الأصل إلى صَبِّ (سَوۡطَ عَذَابٍ) فوصل في التعذيب و العقاب إلى أقصى المدى ، بما يعني الصبُّ من تدفق وغمر مع إسناده إلى (ربَّك) الخالق الجبار .ثم كانت إضافة سوط إلى عذابٍ مع التنكير ،إطلاقاً له في الترويع يذهب فيه التصور كلَّ مذهب » (٣٠) تجعل الدكتورة الباب مفتوحا أمام الخيال إلى تصور مشهد العذاب الذي يلاقيه الكافر والألم الذي يكابده لأن دلالة السوط انتقلت من دلالتها الحقيقية في – الآلة التي تستعمل للضرب – إلى جعلها تعبيرا عن كثرة العذاب الذي يتعرض له الكافر في الآخرة نتيجة كفره وعناده ، ثم تقول : « أضيف السوط إلى العذاب بحالة تنكير ، وهذا مما يجعل الأمر أكثر ترويعا » (٣١)وفيها دلالة أيضا على الألم النفسي لهذا المعاند فحملت الآية بذلك دلالة الألم الجسدية والنفسية معاً لينطلق الخيال واسعاً في التصور لألوان الآلام التي يتعرض لها هذا الكافر جزاء غروره وعناده .

ويمكن أن نلمح الالم النفسي في قوله تعالى: (يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣) [القلم : 42-43] تقول : « إن العربية ألفت مثل هذا الأستعمال المجازي الكشف عن الساق ،أو التشمير عنها ،كناية عن التأهب والفزع وقت الشدة ..وأيّ شدة أفضع هولاً على الكافرين من يوم الحساب حين يدعون الى السجود تعجيزا وتحسيرا وتقريعا ،فإذا الفرصة قد فاتت : أضاعوها ظلما وبغتا حين كانوا يدعون في حياتهم الدنيا الى السجود وهم سالمون قادرون » (٣٢) وهنا تقف الدكتورة على المقارنة بين القدرة في الحياة الدنيا على السجود وعجزهم عنها في يوم الحساب وما يتجلى من الألم النفسي الذي يعانيه هؤلاء المشركون جزاء كفرهم وعنادهم وهم عاجزون عن كل شيء وهي صورة كنائية رائعة عن محاولة الهرب من شدة الفزع الذي أصبح فيه هؤلاء يوم الحساب ، وقد جسدت الدكتورة بيانها لهذا المعنى بدقة ووضوح ، فقد وقفت على كثير من النصوص وإستطاعت ان توظف عاطفتها في إستكشاف الجوانب العاطفية في النص الكريم بإسلوب شفاف يعكس شخصيتها في إختيار الموضوعات ف((الفنان هو الذي يمد الموضوع باللغة التي يمكن أن يعبر بها عن نفسه أو هو بالأحرى يساعدالموضوع على أن يقول .ما يريد أن يقول ... وهو يعبر عن الموضوع بإسلوب لا يندررررج تحت نطاق المعرفة الموضوعية فيكشف لنا عن (الحقيقة) الموضوع الذي قلما ينجح الأدراك العادي في الوقوف عليها » (٣٣) فقد بينت معاني الكثير من الآيات القرآنية من خلال رسم الصور الحسية والخيالية لها في ذهن المتلقي بالوقوف على الأساليب البلاغية التي تضمنتها هذه الآيات بما ينسجم مع السياق العام لها على النحوالذي من شأنه أن يبرز القيمة الحسية والتعبيرية لها .

ثانياً: مكوِّن المادة والتعبير

أ-المعنى اللغوي

ب-الصورة الأدبية

ج-الجانب الصوتي

****

أ-المعنى اللغوي،وقرائن النص :

يُعد المعنى اللغوي معلماً مهماً من معالم التفسير البياني عند عائشة عبد الرحمن ،فهي تعي أنّ « الكلمة هي إحدى الوحدات الأساسية لعلم الدلالة » (٣٤) والوقوف على المعنى المعجمي ونقل آراء أصحاب المعجمات العربية أو آراء المفسرين الذين وقفوا على معاني هذه الألفاظ ودلالتها المعجمية يعطي المفسر المقدرة على تحليل النص بما يسهم في بيان معنى النص وتجليته بما يلائم السياق العام في الآية .

والدكتورة عائشةعبدالرحمن إعتمدت على التراث المعجمي في تفسيرها البياني وقد آثرت التفسير بالمعاني المعجمية لكثير من الألفاظ وتفاعلت مع المعطيات اللفظية على وفق السبل التي وجدتها مناسبة لتفسير النص الكريم الذي جاء بلغة العرب وعلى وفق « العرف العربي والاستعمال البياني والاصالة اللغوية » (٣٥) ...فاعتماد المعنى اللغوي للمفردة يُعد أمراً لابد منه في عملية تفسير النص القرآني لذلك تحيل عائشة عبد الرحمن في كثير من المواضع على الدلالة اللغوية المعجمية التي يقول بها أهل اللغة ،فهي تارة تكتفي بإيرادالمعنى المعجمي للمفردة القرآنية (٣٦) ، وتارة أُخرى تحاول أن تذكر المعنى المعجمي للمفردة وتتلمس له معنى بيانيا ينسجم مع فهمها للنص الكريم (٣٧) ، أو تحاول أن تختار من المعاني المتعددة للمفردة الواحدة أقربها الى ما يلائم تفسيرها وطبيعته البيانية . فقد تلجأ الى ترجيح أحد الآراء اللغوية لأنه – عندها – الأقرب الى المعنى الدلالي والتوجيه البياني الذي إختارته منهجا في تفسيرها البياني للنص القرآني ،ففي قوله تعالى : (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤) [البلد:4] بينت المعنى اللغوي للفظ (كبد) عند اللغويين والمفسرين الذين وقفوا عند هذه اللفظة كثيرا ،ألا إنها رجحت المعنى الذي ينسجم مع منهجها في تحليل المعنى وتعليله ،تقول : « إنما الكبد – فيما نرجح – هو ما هُيء له الأنسان بفطرته من إحتمال المسؤلية ومشقة الإختيار بين الخير والشر » (٣٨) ،ونحو ذلك في قوله تعالى : (عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣) [القلم :13] فهي تستعين بالمعنى اللغوي المعجمي لكلمة (زنيم) للوصول الى المعنى المراد في الآية فتقول : « تفسيره بالفاحش اللئيم ،أولى من تفسيره بولد الزنا : فالقرآن الكريم في محقه للزنا ،إنما يقصد اللعنة على الزاني والزانية ،لا على أولادهما والعربية حين إستعملت الزنيم لولد الزنا،لحظت فيه معنى لؤم الأصل وخبث المنبت » (٣٩) ، فهي تقف عند المعنى الواحد للفظ في المعجمات العربية وكتب التفسير ثم ترجح المعنى اللغوي للمفردة الذي يلائم التفسير البياني للنص وهذا يشير الى قدرتها اللغوية العالية في إختيار المعاني التي تنسجم مع السياق العام في الآية وهذا الاختيار هو « الذي يظهرمهارةالكاتب أو المتكلم وقدرته على تناول الضلال والالوان العاطفية والجمالية لهذا المعنى » (٤٠) ، فقد إمتلكت قدرة بيانية رائعة في التعبير عن المعنى المراد والوصول الى دلالة المفردة القرآنية ،بإسلوب رفيع ودقة متناهية إستطاعت من خلالها الإفادة من سعة اللغة ومفرداتها .

وقد عنيت الدكتورة عائشة عبدالرحمن ببيان معنى المفردة داخل النص القرآني وأهم ما تمتاز به هذه المفردة وهي داخل النص ومكونة له من أجل تحليل المعنى في ضوء المعنى البياني له،لانها أولت الجانب البلاغي أهمية كبيرة في بيان للمفردة الواحدة داخل السياق العام للآية ،والكشف عن دلالتها داخل النص من أجل الوقوف على خصائص المعنى لها ،ففي قوله تعالى : (يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦)[الزلزلة :6] فهي ترى في لفظ (أشتاتاً)معنى اختلف عن ما ذهب

إليه المفسرون القدامى والمحدثين ،تقول : ((إنما تقوى الإثارة والترهيب والردع ،حين يكون من التشتت بمعنى التفرق والبعثرة والإنتشاربما تقتضيه طبيعة الموقف من إضطراب ،ولما يكون مع التشتت من فقدان الأنس بالجماعة وإلتماس نوع من الأمان ،ولو على سبيل الوهم ،في الصحبة والتجمع وهم يصدرون أشتاتاً ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾)) [٤١] ، فقدوقفت على معنى اللفظ في المعجمات العربية وعلى آراء المفسرين القدامى والمحدثين لبيان معنى المفردة الأ انها إرتأت إن معنى اللفظ مختلف عمّا ذهب إليه السابقون ذلك لأن القرائن اللفظية في داخل الآية تتطلب أن يكون التشتت بمعنى الأنتشار لما في الموقف من دهشة ورعب لذلك خالفت المفسرين في آرائهم ووقفت عند معنى اللفظ اللغوي بما ينسجم مع السياق العام للآية وقد خالفت العرب في بيانها لمعنى لفظ (أُقسِمُ) الوارد في قوله تعالى :(لَآ أُقۡسِمُ بِهَـٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١)[البلد:1] ، ففي إستعمال لفظ (القسم) بمعنى (الحلف) وقد ذكرت أمثلة لأقوال الشعراء في ذلك ،الا انها إستدلت بالنص القرآني بذكر الآيات التي ورد فيها لفظ (حلف) فهي ترى ان إستقراء الكلمتين في القرآن يمنع هذا الترادف فقد لحظت ان مادة (حلف) في القرآن الكريم في مقام الحِنْث باليمين.أما(القسم) فيغلب ان يجيء في الايمان الصادقة ...،تقول : ((لايهون أن نفسر القسم بالحلف ،وصنيع القرآن فيهما يلفت الى فرق دقيق بين اللفظين المقول بترادفهما ،فرق يؤيده فقه العربية،فإختلاف مادتي اللفظين يؤذن بإختلاف مدلول كل منهما،وبين حلف وحنث من القرب،ماليس بين حلف وقسم ،مما يبعد ان يكونا سواء)) [٤٢]،فهي تستدل بالقرائن اللفظية التي وردت في هذه الآية للوصول الى التوجيه الدلالي فيها.

وقدتكون القرائن اللفظية التي تسبق الآية ،إضاءة لما بعدها من الآيات وتوجيهها الدلالي ،ففي قوله تعالى:(وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤)[الضحى:4] فهي ترى ان لفظ (الآخرة) اكتسب دلالة جديدة في سياق (سورة الضحى)اختلفت فيه عن المعنى المألوف لها ،فهي تأتي غالبا مقابل الدنيا إلا إنها تقول : ((يُرجح ان الاخرة هي الغد المرجو،مجيئها مع (ذلك) خاصة بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم – وقد أكد الله بهذا الخير الموعود،نفي التوديع والقلى ،ليذهب عن رسوله أثر فتور الوحي)) [٤٣] فارتباط هذه الآية بما قبلها في قوله تعالى :(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣)[الضحى :3] دليل على صحة ما ذهبت إليه فالسياق الكلي للنص يشير الى ذلك فضلا عن أسباب النزول التي لا تعدو أن تكون قرائن مما حول النص تسهم في بيان معنى لفظ (الآخرة) الذي إكتسب دلالة جديدة في سياق النص الكلي .

وقد تكون هذه القرائن في الآيات التي تلي الآية التي هي بصدد تحليل معنى اللفظ فيها ،فبعد أن تذكر آراء النحاةوالمفسرين في توجيه واعراب قوله تعالى :(فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦) [القلم :5-6] تقف عند لفظ (المفتون) لبيان معناه ،فتقول : ((العربية تستعمل الفتنة حسيّا في إذابة الذهب والفضة وصهر المعدن في النار ومن معاني الفتنة في المعجم :الفن ،والحال ،والإبتلاء ،والاعجاب بالشيء،والضلال والكفر،والإيقاع بين الناس وهي تحتمل هذه الآية،أن يكون المفتون من الإبتلاء بالضلال والبغي ...وإن يكن حملُ الفتنة على الضلال أقرب الى حس البيان ،كما إنه أقرب الى سياق الآية بعده (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧)[القلم :7])) [٤٤] والذي يُفهَم من قولها هذا انها أرادت ضلال الكفار هو ما يدفعهم للإيقاع بين الناس وفتنتهم وكلاهما يؤدي الى طريق واحدوهو عدم الاهتداء بنور الاسلام ، ونحو قوله تعالى :(فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠) [الليل :5-10] تحاول الدكتورة الإستعانة بعدد من آيات السورة نفسها ،والتي وردت في سياق متقارب ،وهي الآيات (5، 6، 7، 8، 9، 10) من سورة الليل ،من أجل بيان المعنى الذي ورد في صيغ التفضيل في الآيات والذي تتضح من خلاله الدلالة في النص الذي سيقت من أجله هذه الصيغ ،ففي قوله تعالى :(فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦)[الليل :5-6] تقول : ((الحسنى ضدالسوأى ،صيغتا تفضيل للدلالة على غاية الحسن الذي لا حُسن بعده ،والسوء الذي لا يماثله سوء ...وفي قوله تعالى :(فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧) [الليل :7] تأتيه البشرى بمثل

ما بُشِّرَ به المصطفى عليه الصلاة والسلام،من تيسير إلهي لليسرى ...وفي قوله تعالى :(وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝) [الليل : 9-10] إن إستعمال العسرى ،كإستعمال اليسرى ،ليس ملحوظا فيه المصدرية كالعسر واليسر ،وإنما الملحوظ فيهما ،بصيغة الفُعْلَى أقصى اليسر وأشد العسر ،...وإستعمال التيسير مع العسرى ،مبالغة في الوعيد والنذير لمن بخل وإستغنى)) ([٤٥]) فهي تستدل بالقرائن اللفظية التي وردت في هذه الآيات التي بعدها بما يسهم في الوصول الى التوجيه الدلالي فيها .

ويتحكم في توجيه المعنى للفظ الواحد داخل الآية الجو العام للآية أو أسباب النزول، تقول : ((والالفاظ المختارة لموقف القيامة ،بالغة الاثارة قوية الوقع أما بعنفها كالزلزلة ،والرج ،والدك ،والنسف ،والرجف،والمور ،والصيحة ...وأما بدقتها ،كمثقال الذرة ،والهباء المنبث ،والسراب والدخان ...)) ([٤٦]) فما تحمله هذه الالفاظ من قوة الاثارة والرعب لابد أن ينسجم مع الجو العام الذي يتطلب مثل هذه الالفاظ ، ثم وقفت على ملاحظ بيانية مطردة في السور التي ورد فيها وصف اليوم الآخر ومنها (سورة الزلزلة) في بيان لفظ (الزلزلة) في قوله تعالى :(إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝) [الزلزلة :1] ترى أن هذا اللفظ استعمل في الشدائد والاهوال ،وقد ذكرت مسبقاً ان ((البناء للمجهول تركيز للأهتمام بالحدث ،بصرف النظر عن محدثه ،وفي الاسناد المجازي أو المطاوعة تقريرلوقوع الأحداث في طواعية تلقائية ،إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير،والاحداث تقع تلقائياً لا تحتاج الى أمر أو فاعل)) ([٤٧]) ،ثم توضح الظاهرة الاسلوبية التي وردت في هذه الآية من إضافة (الزلزال) الى ضمير الأرض ،فتقول : ((إن ذلك متسق مع التلقائية الملحوظة في هذه الآية وما بعدها من إخراج الارض أثقالها وتحدثُّها أخبارها .وفيها أيضاً لفتٌ الى المعهود المعروف من الزلزلة)) ([٤٨]) .

وقد أفادت الدكتورة عائشة من النص القرآني لبيان معنى اللفظ الواحد داخل الآية من خلال الرجوع الى السور القرآنية الاخرى بما ينسجم مع السياق العام لها ،ففي لفظ (ضلال) في قوله تعالى :(وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝) [الضحى:7] تتطرق الى ما ذهب المفسرون إليه، إلا أنها تخالف آراءهم وتستعين بالنص الكريم لبيان معنى اللفظ ((لا نقول هنا إلا ما قاله الله تعالى لنبيه المصطفى (... مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ... ۝) [الشورى :52] فقد كانت حالته قبل المبعث حالة حيرة : عاف حال قومه وأنكرها ،ولكن أين الطريق المستقيم؟ وكيف المخرج ؟ولبث على حيرته أمداً،حتى جاءته الرسالة فهدته الى الدين القيم وأبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال)) ([٤٩]) ،فقد بينت المعنى اللغوي لهذا اللفظ على وفق ما جاء في (سورة الشورى) بما ينسجم مع تفكيرها وفهمها للنص الكريم .

ب – الصورة الأدبية :

جاءت أهمية الصورة الفنية من حيث هي طريقة من طرق التعبير،أو شكل من أشكال الدلالة ،لما تحدثه من معنى وتأثير في المتلقي وهي تقوم على الوسائل التي يحاول بها الاديب نقل فكرته وعاطفته معاً الى قرائه او سامعيه ([٥٠])،لذا فالمفسر يستخدم الصورة الادبية في إيضاح الجوانب الجمالية في التشخيص والتمثيل التي يتضمنها النص القرآني ،فللصورة مكان مميز في سياق النص الادبي ((لما في الصورة من دفق شعوري فياض)) ([٥١]) ، واعتماد المفسر على الصورة ينبع من احساسه لتجسيد أفكاره، لا التصريح بها لأن الصورة الفنية ((تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها الى عالم الفكرة اكثر من انتمائها الى عالم الواقع)) ([٥٢]) ، مما يجعل دلالة التعبير قادرة على جعل المادة اللفظية مشهداً صورياً يتمثل للمتلقي وكأنه واقع أمامه ،والصورة الفنية تنطلق من ذات المبدع ،وما يمتلكه من ثراء ثقافي وخيال واسع وتطور،يضفي على شعوره وتجربته رؤية تسهم في الوصول الى معانٍ بيانية ،وهي ((أداة الخيال ووسيلته ومادته المهمة التي يمارس فيها ومن خلالها فاعلية نشاطه)) ([٥٣]) ، وهي ترتبط بقدرة الاديب أو المفسر على بيان المعنى وتحليله وما يحمله معنى النص من صور تُقرِّب المعنى وتحمل الإحساس لإدراك مدلولها .

والاسلوب البياني هوالذي تبعته الدكتورة عائشة عبد الرحمن في الكشف عن الصورة الفنية في النص الكريم من خلال الوقوف على العناصر التي تتشكل منها الصورة بالتحليل والتعليل لمكونات النص من أجل إبراز الجانبين الحسي والغيبي

المُتضمَّن فيها،ففي قوله تعالى :(إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥)[الزلزلة:1- 5] تبيّن عائشة عبد الرحمن ملامح الصورة في السورة الكريمة التي كان للعدول الى الفعل المبني للمجهول فيها شأن هام من أجل صرف الذهن الى الحدث العظيم،وإثارة صورة ذهنية في مُخيِّلة المتلقي لقيام الساعة، تقول : ((لا يجوز أن نتأول الفاعل ،مع وضوح العمد في البيان القرآني الى صرف النظر عنه،..وقد هدى تدبر هذه الظاهرة الاسلوبية الى ان البناء للمجهول تركيز للأهتمام بالحدث،بصرف النظر عن محدثه .وفي الاسناد المجازي أو المطاوعة ،تقرير لوقوع الاحداث في طواعية تلقائية ،إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير،والاحداث تقع تلقائياً لا تحتاج الى أمرأو فاعل)) [٥٤] ، فالعناصر المكوّنة للنص تتظافرلبناء الصورة التي تصب في دائرة الموقف الذي يروع الانسان يوم الحساب ف(زلزلة الارض، إخراج الاثقال ،تحدث الارض) من الاسناد المجازي الذي يعطي نوعاً من التراكم الذي تجتمع عناصره على توكيد الفكرة الواحدة التي تضمنتها هذه السورة،ونحو ذلك في قوله تعالى:

(يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠) [النازعات:6-10] فهي ترى انه ((يقال في الأرض راجفة وهي مرجوفة والرادفة التابعة وهي مردوفة ،وهنا تلقائية تغني عن ذكر المُحدِث،بما أودع جل شأنه الأرض من قوة التسخير لما يريد لها .وهنا أيضاً مباغتة ،لا يدري معها الانسان يوم القيامة من أين جاء الرجف ،وتركيز الانتباه في أخذة الراجفة)) [٥٥] فالتركيز على دراسة ظاهرة إسلوبية مطردة في النص القرآني ،وهو اسلوب العدول الى الفعل المبني للمجهول للكشف عن دلالة ((التلقائية وتركيز الانتباه الى الحدث ذاته،وإبراز الاقناع النفسي)) [٥٦] كما يمكن تلمس عنصر (التخييل) * ،في بناء الصورة عند تفسيرها لأغلب النصوص التي هي بصددالتفسير،من خلال تكوين صورة ذهنية لأشياء بعيدة عن متناول الحس ويتمثل ذلك في الحركات السريعة المتتابعة للخيل في قوله تعالى :(وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥)[النازعات :1- 5] ، إذ تقول : ((مشهد حسي وصورة مادية للخيل فيما تعاني من عنف النزع وقوة الجذب وشدة التجمع للإفلات والانطلاق ...والوقع المادي لحركة العدو،يوحي بما تهدر به صدور الخيل وهي تتجمع للمعركة وما تضطرب به أعماقها وهي تتقبض وتتوثب ..سابحة في الهواء ...فإذا ما بلغت من ذلك كله ، تدبير الامر المراد .جاءت صورة غيبية، تصور حركة القيامة بما فيها من رجف ووجف وما يصحبها من هزة عنيفة (يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧)[النازعات :6-7])) [٥٧] فهي ترى ان هذه الصورة ترتبط مع التي بعدها من أجل توضيح المعنى الذي ورد فيها ، والتي من شأنها إبراز الصورة الحسية لحركة الخيل وسرعتها وإرتباطها من جانب آخر بحركة القيامة وما يصحبها من تغيير ...وهي سمات التعبير القرآني في ((تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية ومشاهد القيامة ...كأنها حاضرة وشاخصة بالتخييل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة)) [٥٨] ومن ألوان التخييل ما يتمثل في تلك الصور المتحركة التي يعبر بها عن الموقف النفسي ، فهي الوسيلة التي يُجسَد من خلالها الهم وتصوير حدوده ، ففي قوله تعالى :(ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣)[الفجر :11 -13] تقول : ((الاصل في السوط أن يُضرب به،لكن البيان القرآني عَدِلَ عن الاصل الى صَبَّ (سَوۡطَ عَذَابٍ) فوصل بالتعذيب والعقاب الى أقصى المدى ، بما يُعنى الصَبُّ من تدفق وغمْر،مع إسناده الى (بُّكَ

وفي موضع آخر نجدها تشير الى أهمية (النبر)* في بيان المعنى من حيث هو إيقاع موسيقي بين آيات السورة الواحدة ،فهي بعد أن تقف على تفسير قوله تعالى :(وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥)[البلد:12-15] تقول : ((والإثارة اللافتة ،لا تأتي من مجرد الاستفهام البياني وحده وإنما تأتي كذلك من كل لفظ ونبرة في قوله تعالى :(وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢) وينفذ به الى أعماق الوجدان ،ويهيء السامع لما يعقبه من بيان (فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤)))[٦٨] فبعد أن وضحت المعنى البياني لهذه الآيات أشارت الى الإيقاع الموسيقي الواقع بينها والذي من شأنه أن يكون عنصراً مساهماً في التوجيه الدلالي في سياق الآيات الكريمة وهو كما يسميه تمام حسان النبر السياقي أو الدلالي [٦٩] ،ونحو ذلك في قوله تعالى :(وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥)[العاديات:1-5] وبعد أن تبين المعنى في الآيات الخمس الأُوُل تقف عند الخامسة ،فتقول : ((فالعطف بالفاء هنا ملائم لجو الموقف الذي تسيطر عليه الاخذة المباغتة ،والسرعة الخاطفة ،فمراحل الاغارة تتم جميعاً في تدافع سريع لا تراخي فيه وتتعاقب واحدةً في إثر أُخرى في حسم قاطع ،إذ ليس بين العدو الذي هو مرحلة الابتداء ،وإقتحام الجمع الذي هو ذروة الإغارة ،إلا ما بين هذه الآيات القصار المتتابعة في تلاحق وترابط وهي مع قصرها وسرعتها تكشف بجلاء عن الإغارة ووقع المفاجأة)) [٧٠] فالنبر الموسيقي يتضح في سياق الآيات من خلال بيانها لمعنى النص الذي جعلته مرتبطاً ببناء السور القصار المتتابعة في تلاحق وترابط ف ((الجانب الإيقاعي يحرك في النفس ما لا تستطيع اللغة بكلماتها ودلالاتها بلوغه من إنفعالات خفية وإهتزاز يشركنا في التجربة وأغوارها))[٧١] .

[1] - معجم المصطلحات الادبية المعاصرة،د.سعيدعلوش،193

[2] - ينظر :التفسير البياني للقرآن الكريم ،د.عائشة عبد الرحمن ؛1/الاهداء

[3] - المناهج الفلسفية ،الدكتور الطاهر وعزيز؛ 45.

[4] - معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ؛ 223.

[5] - ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن،محمدعلي الرضائي الاصفهاني ؛287.

[6] - ينظر:التفسير البياني ،1/10-11.

[7] - ينظر :مشكلة الفن ،د.زكريا أبراهيم ،27.

[8] - ينظر: المصدر نفسه،35.

[9] - التفسير البياني ،1/17- 18.

[10] - ينظر : مناهج التفسير واتجاهاته – دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم ، د .محمد علي الرضائي الاصفهاني ،419.

[11] - النقد الفني ،جيروم ستوليتز،380.

[12] - التفسير البياني ،د.عائشة عبد الرحمن ،66/2.

[13] - الاحساس بالجمال،سانتيانا،90.

[14] - - التفسير البياني ،189/1 .

* - - قال تعالى :- (فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝)

[القصص :30] .

[15] - التفسير البياني ،1/60.

[16] - التفسير البياني ،1/68 وينظر :2/105.

[17] - المصدر نفسه ،2/161- 162.

[18] - المصدر نفسه ،1/38. وينظر :1/60.

[19] - ينظر : علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي ومسائل الفن ،د.عفيف بهنسي ،43.

[20] - التفسير البياني ،2/23.

[21] - التفسير البياني ،2/101-102.

[22] - التفسير البياني ،1/86.

[23] - التفسير البياني ،1/87- 88.

[24] - المصدر نفسه ،1/162،وينظر 1/116-131.

[25] - التفسير البياني ،1/83.وينظر :1/116- 119.

[26] - التفسير البياني ، 1/133 .وينظر 1/ 95-96 ، 159.

[27] - التفسير البياني ،2/159.

[٢٨] - المصد ر نفسه ،33/2.وينظر : 83/1 ، 177/2.

[٢٩] - المصد ر نفسه ،117/1.

[٣٠] - المصدر نفسه ،148/2.

[٣١] - المصدر نفسه ،148/2.

[٣٢] - التفسير البياني ،68/2.وينظر : 186/2- 187.

[٣٣] - مشكلة الفن ،د.زكريا إبراهيم،36.

[٣٤] - علم الدلالة ،بالمر،40.

[٣٥] - تطور البحث الدلالي ،د.محمد حسين الصغير ،82.

[٣٦] - ينظر :التفسير البياني ،عائشة عبد الرحمن ،126/1، 132، 135، 180.

[٣٧] - ينظر : المصدر نفسه ،1 /51 ، 16/2 ، 21- 22 ، 80 ،92 .

[٣٨] - التفسير البياني ،179/1 ،وينظر :181/1- 182 .

[٣٩] - المصدر نفسه ،60/2 ،وينظر :61/2 ،77، 90.

[٤٠] - دور الكلمة في اللغة ، إستيفن أولمان،94.

[٤١] - التفسير البياني ،95/1- 96.

[٤٢] - التفسيرالبياني ،168/1.

[٤٣] - التفسير البياني ،36/1.

[٤٤] - التفسيرالبياني ،53/2.

[٤٥] - التفسير البياني ،105/2 -109 ، وينظر :95/1 ،132.

[٤٦] - المصدر نفسه،80/1.

[٤٧] - التفسير البياني ،81/1.

[٤٨] - المصدر نفسه،83/1.

[٤٩] - المصدر نفسه،46/1 -47.

[٥٠] - ينظر :اصول النقدالادبي ،أحمد الشايب ،242.

[٥١] - تشريح النص ،د.عبدالله الغذامي ،105.

[٥٢] - التفسير النفسي للأدب ،د.عزالدين إسماعيل ،66.

[٥٣] - أساليب البيان في القرآن ،سيد جعفر الحسيني ،274.

[٥٤] - التفسير البياني ،81/1.

[٥٥] - التفسير البياني ،131/1.

[٥٦] - من أساليب التعبير القرآني ،الزوبعي ،316.

* - التخييل :- يدل هذا المصطلح على عملية التأليف بين الصور وإعادة تشكيلها ،بناء الصورة الفنية ،الزواوي، 99.

[٥٧] - التفسير البياني ، 129/1 -130 ،وينظر :57/2، 104.

[٥٨] - النقد الادبي اصوله ومناهجه،سيد قطب ،134.

[٥٩] - التفسير البياني ،148/2.

[٦٠] - اصول النقد الادبي ،أحمد الشايب ،243.

* - التشخيص :هو خلع الحياة على المواد الجامدة ،والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية ،التصوير الفني في القرآن ،سيد قطب ، 73.

[٦١] - التفسير البياني ،133/2.

[٦٢] - التصوير الفني في القرآن ،سيد قطب ،36.

*- قوله تعالى : (فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١)

[٦٣] - التفسير البياني ،35/1.وينظر:63/1.

[٦٤] - التفسير البياني ،51/1.وينظر :108/2 ،117، 178.

[٦٥] - التفسير البياني ،201/1.

[٦٦] - التفسير البياني ،201/1.

[٦٧] - التفسير البياني ،138/2. وينظر: 178/2.

*- النبر :